مؤسسة التحايا

قِسْمُ التَّفْرِيغ وَالنَّشْرِ

تفريغ

الوصايا الخمس

THE FIVE ADVICES

الشيخ : حارث بن غازي النظاري



إنتاج : مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

النوع : إصدار مــــرئي

العدد : ٣ دروس

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ سلسلة

الوصايا الخمس

للشيخ/ حارث النظاري (حفظه الله)

الصادرة عن مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

ربيع الأول 1435 هـ – يناير 2014 م

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

مقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[1]

الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، أما بعد:

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي الله ﷺ قال: "إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلماتٍ أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكاد أن يبطئ، فقال له عيسى: إنك قد أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي، قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقُعد على الشُّرَف، فحمد الله وأثنى عليه، ثُم قال: إن اللّه عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن، أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإنّ مثل ذلك مثل رجُل اشترى عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم سره أن يكون عبده كذلك؟ وإن اللّه عز وجل خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا. وآمركم بالصلاة، فإن اللّه عزّ وجلّ ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وآمركم بالصيام، فَإِنَّ مَثَل ذلك كمثل رجلٍ معه صُرَّة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك. وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقَدَّموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم، فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه. وآمركم بذكر اللّه عز وجل كثيرًا، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره، فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل. قال: فقال رسول اللّه ﷺ: وأنا آمركم بخمسٍ اللّه أمرني بهن: بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من

[1] تفريغ الوصايا الثلاث الأولى قامت بها مؤسسة " نخبة الإعلام الجهادي".

جثاء جهنم، قالوا: يا رسول اللَّه وإن صام وإن صلّى؟ قال: وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد اللّه عز وجل" ، الحديث صحيح أخرجه الترمذي والإمام أحمد.

وفي هذا الحديث نقف مع الخمس الأوامر التي أمر الله تبارك وتعالى بها محمدًا ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: "وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله" .

الوصية الأولى: الجماعة.

وجاءت الأوامر كثيرة في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ بالأمر بالجماعة والترغيب فيها. والأمر بالجماعة ليس أمرًا بمجرد الاجتماع؛ أن يجتمع الناس على أي أمر كان، اجتماعًا على وطن أو على غيره وإنما جاء الأمر بالاجتماع على أمر الله ودينه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ فنهانا الله تبارك وتعالى عن التفرق وأمرنا أن نعتصم جميعًا بحبله، وحبل الله تبارك وتعالى هو القرآن وهو شرعه، نجتمع جميعًا؛ نعم، نتحد جميعًا؛ نعم، على ماذا؟ على كتاب الله، على سنة رسول الله، على شريعة الله وعلى أمره، فالاجتماع على أمر الله وعلى شريعته، لذلك أخرج الإمام أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث: "فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد" .

فجاء في الشريعة الأمر بالجماعة والترغيب فيها، وليس ذلك فحسب بل جاء التحذير من الفرقة، الأمر بالجماعة والنهي عن ضدها وهي الفُرقة، نهانا الله تبارك وتعالى أن نتفرق قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ فنهانا الله تبارك وتعالى عن اتباع سبل المشركين وعن مشابهتهم؛ أن نكون كما كانوا أحزابًا متفرقة متصارعة، أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ فالمشركون متفرقون مختلفون أحزاب متناحرة متنافسة، والمطلوب من المسلمين أن يجتمعوا وأن يتحدوا على أمر الله وعلى شرعه، فجاء في الشريعة الأمر بالجماعة والترغيب فيها

والتحذير من الفرقة ما يخالف الجماعة، بل جاء في الشريعة أوامر بما يوحد المسلمين وما يرأب الصدع بينهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جاءت هذه القاعدة؛ المؤمنون إخوة متآخون، فإذا حصل أي خلل أو أي خلاف المطلوب من المسلمين جميعًا أن يسعوا في الصلح بين المسلمين لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ففي الأخوة وإصلاح ذات البين وتقوى الله تبارك وتعالى هنالك رحمة الله، وهناك تتنزل الرحمة.

بل أخبر النبي ﷺ بأن إصلاح ذات البين أمر عظيم جدًّا، أخرج الإمام الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة" ، أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة إصلاح ذات البين، فإصلاح ذات البين خير من صيام النافلة، وإصلاح ذات البين خير من صلاة النافلة، وخير من صدقة النافلة. فساد ذات البيت أخبرنا النبي ﷺ أنها الحالقة؛ مزيلة للحسنات، مزيلة للخير، مزيلة للبركة.

بل أمر الله سبحانه وتعالى وأمر النبي ﷺ بالأخوة الإسلامية وبنفع المسلم والسعي في حاجته، أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله –عز وجل– في حاجته" ، انظر المقابلة: "من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله –عز وجل– عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة" ، الحديث أخرجه مسلم بل متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم. أمر بتفريج الكربات، بستر العورات، بنفع المسلم، هذا من الأمر العظيم الثواب عند الله تبارك وتعالى. وليس فقط السلوك مع المسلمين هو المطلوب، السلوك الحسن، بل مطلوب كذلك العاطفة الحسنة تجاه المسلم، لذلك أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" الحديث أخرجه مسلم، فلم يقتصر الأمر فقط على السلوك وإنما كذلك على العاطفة النفسية تجاه المسلم، وأن محبة المسلمين مما تكمل الإيمان وأنها من الواجبات الشرعية وأنها من الإيمان؛ "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" .

فجاء في الشريعة: الأمر بالجماعة والترغيب فيها، التحذير من الفرقة، الأمر بما يوحد المسلمين ورأب الصدع بينهم. وجاء النهي عن كل ما يؤدي إلى الفرقة، كل سلوك أو كل عمل يؤدي إلى تفريق المسلمين وإلى إخلاء الأخوة بينهم نهى الله تبارك وتعالى عنه، جاء في القرآن العظيم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ﴾ فنهى الله سبحانه وتعالى عن السخرية من الناس المسلمين، لا تذكرهم بسوء ولا تسخر منهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ لا ينادي أحدكم أحدًا بلقب يكرهه، سمّه باسمه بلقبه الذي يحبه والذي يعجبه ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فالله سبحانه وتعالى أمر بالتوبة من هذا العمل الفاسد العمل السيء؛ السخرية والتنابز بالألقاب، ومن لم يتب أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ظالم لأخيه المسلم وظالم لإخوانه المسلمين، والظلم ظلمات يوم القيامة. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فنهانا الله تبارك وتعالى، أمرنا باجتناب كثير من الظن حتى لا نقع في قليل من الظن الآثم، تجتنب الظن الآثم القليل باجتناب الكثير من الظن، لماذا؟ لكي لا تفسد العلاقة بين المسلمين بسبب الظن الفاسد والتخرصات الفاسدة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقال ربي تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ هذا المرض الخبيث الذي يفسد الجماعات ويفسد المجتمعات، ويفسد التجمعات؛ وهو مرض الغيبة وذكر المسلمين بما يكرهون، هذه الذي توغر الصدور وتورث البغضاء والعداوة والشحناء وتشوه الصورة، هذا المرض الخبيث، نهى الله تبارك وتعالى عن الغيبة، وأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة، هذا سبيل المؤمن الحق، المؤمن التقي، المؤمن الصالح يجتنب الغيبة ويلزم النصيحة والأمر بالمعروف، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة والرحمة في اجتناب هذا جميعًا.

السلوك المنهي عنه الذي يؤدي إلى الضرر بالمسلمين وإلى الإفساد بينهم، وكذلك السلوك النفسي والأخلاق النفسية المذمومة نهى الله تبارك وتعالى عنها التي تفسد بين المسلمين وتفرق شملهم سواء كانت قولًا أو عملًا أو سلوكًا قلبيًّا، لذلك أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تحاسدوا"

والحسد عمل قلبي، "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا" والتناجش نوع من البيع، زيادة في ثمن السلعة لا يريد شراءها حتى يفسد على الآخرين، "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا" ، هذه معانٍ قلبية، البغضاء ممنوعة والحسد مذموم، "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا" أي لا يعرض أحدكم عن أخيه فيعطي كل أخٍ أخاه دبره؛ منظر قبيح، "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع أحدكم على بيع أخيه، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم" ، أيًّا كانت جنسيته، أيًّا كانت قوميته من أي أرض وفي أي زمان بأي شكل، "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره" ، لا يعتدي عليه، ولا يخذله إذا وقع عليه الظلم بل يدافع عنه ويستميت في الدفاع عنه، "ولا يحقره" معنى قلبي؛ يرى في نفسه أن فلانًا هذا أقل شأنًا، كلا، قال النبي ﷺ: "التقوى ها هنا" وأشار بيده إلى صدره ثلاثًا، ثم قال عليه الصلاة والسلام: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" ، يكفي المسلم من الشر أن يحقر أخاه فإذا لم يأت يوم القيامة إلا باحتقار المسلم كفاه ذلك أن ينال به العذاب الأليم والعياذ بالله، يكفيه من الشر مسألة واحدة وهي احتقار المسلم، فاحتقار المسلم جريمة وجريمة خطيرة، وحذر منها النبي ﷺ، والاحتقار عمل قلبي بمجرد أن يشعر في نفسه أن فلانًا من المسلمين هذا يحتقره أو يزدريه، لا، "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه" دمه محرم وماله محرم وعرضه محرم، فلا يعتدي على دمه ولا على ماله ولا يعتدي عليه بالسب أو بالشتم أو بالانتقاص، والحديث كما قلت أخرجه الإمام مسلم.

كل هذه الأوامر الشرعية من الأمر بالجماعة والترغيب فيها والتحذير من الفرقة والأمر بما يوحد المسلمين والنهي عن مقاربة ما يؤدي للفرقة؛ كل هذا من أجل التزام المسلم بالجماعة، قول النبي ﷺ: "وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجماعة" ولكن ما المقصود بالجماعة المأمور بها؟ من الجماعة التي أمر النبي ﷺ بالتزامها؟ مجمل أقوال العلماء في معنى الجماعة خمسة أقوال وهي في الحقيقة ليس فيها اختلاف تضاد وإنما هي اختلاف تنوع أو تداخل، وخلاصة الأقوال أن مفهوم الجماعة يدور حول معنيين اثنين، مجمل هذه الأقوال الخمسة تلخص في أمرين اثنين:

المعنى الأول للجماعة: أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام على مقتضى الشرع، إمام شرعي اجتمع عليه المسلمون وبايعوه فيجب لزوم هذه الجماعة ويحرم الخروج عليها، هذا المعنى الأول؛ أن يكون للمسلمين إمام يجتمعون عليه ويبايعونه وهو أمير المؤمنين وهو الخليفة.

المعنى الثاني للجماعة: وهو معنى معنوي، فالأول معنى حسي وهو اجتماع حقيقي، اجتماع الأبدان، المعنى الثاني معنى معنوي وهو: التزام السنة وترك الابتداع، الجماعة ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة وأهل العلم وأهل الإجماع والسواد الأعظم، كلها تجتمع في هذا المعنى وهو التزام السنة واتباع النبي ﷺ ومخالفة البدع، فهذه كلها ترجع إلى معنى واحد وهو: ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة، سواء كان كثيرًا أو قليلًا، لذلك روى البيهقي في المدخل عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك" . المقصود بالجماعة هنا الجماعة المعنوية، وهو اتباع ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة، وروى اللالكائي في شرح السنة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إنما الجماعة ما وافق طاعة الله ولو كنت وحدك" هذا ما أُثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وروى البيهقي في المدخل عن نعيم بن حماد أنه قال: "إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ" . إذًا مختصر أو مجمل كلام العلماء والفقهاء في معنى الجماعة ينقسم إلى أمرين أو في نقطتين اثنتين:

المعنى الأول: وجود أمير المؤمنين والانحياز إليه والدخول في بيعته وفي جماعته.

والمعنى الثاني: وهو الاجتماع على الحق وعلى السنة وعلى اتباع النبي ﷺ والمنهج النبوي الراشدي.

إذا لم يوجد أمير المؤمنين كيف يلتزم الإنسان الجماعة؟

إذا لم يوجد أمير المؤمنين ووجدت جماعة المؤمنين؛ جماعة المسلمين السائرة على الحق والسائرة على السنة فيجب حينئذ التزام جماعة المؤمنين والسعي في إيجاد أمير المؤمنين. لكن إذا جاء وقت ولم يكن هناك أمير المؤمنين، لا يوجد للمسلمين إمام ولا يوجد لأهل السنة جماعة تضمهم وإنما أهل السنة متفرقون في الأرض يعني نُزّاع هنا وهناك يدينون دين الحق ويتبعون النبي ﷺ يجتنبون البدع، ولكن في ذلك الزمن عمت البدع فكثرت البدع واختلط الناس فيها وصارت لهم تجمعات واجتماعات قائمة على البدع ولا يوجد لهم اجتماع قائم على

السنة؛ فما الحل في ذلك الوقت؟ أن يعتزل كل الفرق ويلتزم الحق وحده، وإذا التزم الحق وحده فهو يومئذ هو الجماعة، وهذا مفهوم حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم"، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم وفيه دخن" ، فقلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر" ، قلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها" ، قلت: يا رسول الله صِفهم لنا، قال: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا" ، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم" . وهذا هو الشاهد: "قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم" ، الأمرين؛ جماعة المسلمين وإمام المسلمين، "قلت: فإن لم تكن جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك" رواه البخاري ومسلم.

فأرشد النبي ﷺ عند غياب أمير المؤمنين وعند عدم وجود جماعة للمؤمنين أن يعتزل الإنسان كل تلك الفرق ويلتزم بما عليه النبي ﷺ وهو يومئذ الجماعة، وهذه فتوى النبي ﷺ وهو أمر النبي ﷺ لمن جاء في آخر الزمان وقد اختلطت فيه الأحوال وتبدلت فيه من عدم وجود إمام ولا جماعة للمسلمين، لكن إن وجدت جماعة قائمة بأمر الله تبارك وتعالى سائرة على نهج النبي ﷺ فينضم الإنسان إليها ويؤيدها ويناصرها وواجبها أن تقيم أمير المؤمنين وخليفة المسلمين.

هذا بموضوع الجماعة الذي أمر النبي ﷺ بالتزامه، فقال عليه الصلاة والسلام: "وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجماعة" ثم الحديث إن شاء الله في قابل الأيام عن السمع والطاعة ثم عن الهجرة والجهاد.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى إنه على كل شيء قدير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوصية الثانية والثالثة: السمع والطاعة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، أما بعد:

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله" .

كان الحديث في اللقاء الماضي عن الجماعة والأمر بها وما أمر النبي ﷺ من الالتزام بالجماعة.

اليوم الحديث عن السمع والطاعة، جاء الأمر بالسمع والطاعة، ولكن السمع والطاعة ابتداءً هي لله ولرسوله،

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

فأخبرنا الله سبحانه وتعالى عن سلوك المؤمنين وعن عقيدة المؤمنين وعن عمل المؤمنين؛ أنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم استجابة لله وإلى رسوله يقولون سمعنا وأطعنا، وزكاهم الله سبحانه وتعالى أنهم هم المفلحون، هم أهل الفلاح وأهل الخير، وأنهم هم الطائعون لله تبارك وتعالى، وهم الفائزون، لم هم فائزون؟ لأنهم سامعون مطيعون.

أمران اثنان: الأمر الأول وهو السمع، السمع ينقسم إلى قسمين: سمع إدراك، وسمع اتباع. سمع الإدراك: وصول الأصوات إلى آلة السمع. وسمع الاتباع: وهو الهداية والسير على منهج الله تبارك وتعالى واتباع الأوامر التي تُلقيت، والمكلف به العبد أن يسمع لله تبارك وتعالى ولرسوله أن يتبع، يتبع ما أمر الله تبارك وتعالى به، قال الله

سبحانه وتعالى عن المشركين في نار جهنم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ هؤلاء أهل النار يتندمون في النار أنهم لم يسمعوا ولم يعقلوا،

هل معنى أنهم لم تكن لهم آلة السمع أو أنهم لم يعقلوا أنهم مجنانين؟ لا، كانوا يسمعون ويعقلون ولكن لم يكونوا متبعين وهذا ما ذمَّ الله تبارك وتعالى به الكفار، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ فوصف الله سبحانه وتعالى هؤلاء المشركين المتبعين لأهوائهم أنهم لا يسمعون ولا يعقلون كالأنعام، الأنعام يصلها الصوت وتتلقاه بجهاز السمع كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ هذا حال الكفار؛ أنهم مثل الأنعام بل هم أضل، وهم شر الدواب عند الله تبارك وتعالى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ يصلهم البلاغ ولكن لا يتبعون، يسمعون بل يستمعون للوحي ويستمعون للشريعة ويستمعون للقرآن ولكنهم معرضون. وفي غفلة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ فأخبر الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء المجرمين أنهم يستمعون لكنهم في لعب وقلوبهم لاهية، معرضون لا يريدون الهداية ولا يلتفتون لها، والله سبحانه وتعالى نهانا أن نكون كمثلهم، كمثل الذين لا يسمعون قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ أولئك الكفرة المجرمون المعرضون عن الهداية وعن الدين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ تصلهم المعلومات وتصلهم الهداية لكنهم في إعراض عنها لا يستجيبون، والله أمرنا أن نستجيب لله تبارك وتعالى، أمرنا الله تبارك وتعالى أن نستجب له وللرسول ﷺ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فمطلوب السمع، والذين يسمعون هم المستجيبون هم الأحياء كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

فالمستجيبون المؤمنون هم أهل الحياة الذين استجابوا لله تبارك وتعالى واستجابوا للرسول ﷺ، ومن عداهم من المعرضين عن الشريعة والمعرضين عن الوحي والمعرضين عن السنة أولئك أموات، قال الله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ هذا حال الكفار والمشركين، المنافقون كذلك يسمعون ولا يفقهون، قال الله سبحانه وتعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ﴾ من هم هؤلاء المنافقون الذين يستمعون للنبي ﷺ وقلوبهم غافلة وقلوبهم لاهية لأنهم لا يريدون الامتثال ولا يستمعون للاتباع؟ قال الله سبحانه وتعالى ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ﴾ وقال الله سبحانه وتعالى للمؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ المؤمنون يسمعون ويتبعون، وصفهم الله تبارك وتعالى بهذا الوصف وأثنى عليهم الثناء الحسن.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ من هم أصحاب البشرى؟ هم الذين اجتنبوا الطواغيت، اجتنبوا عبادة الطاغوت ولم يعبدوه واجتنبوه وأنابوا إلى الله تبارك وتعالى، تابوا إليه ورجعوا إليه ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أولئك هم أصحاب العقول وأصحاب الفهم وهم أهل الهداية، من هم هؤلاء؟ جمعوا هذه الصفات: اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، أنابوا إلى الله تبارك وتعالى، يستمعون القول ويتبعون أحسنه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ هذه صفة المؤمنين أنهم يسمعون ويتبعون، سمع وطاعة لله تبارك وتعالى وفي طاعة الله ورسوله الفوز العظيم، الطائعون هم الفائزون وبشرهم الله تبارك وتعالى بأن لهم الفوز العظيم في الدنيا وفي الآخرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ الفوز العظيم أين؟ في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، قال النبي ﷺ كما في الحديث الذي ذكر آنفاً: "وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: الجماعة والسمع والطاعة" السمع والطاعة لله تبارك وتعالى ولرسوله، ثم السمع والطاعة لولاة الأمر قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ فأمر الله سبحانه وتعالى بطاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ منكم يعني من المؤمنين،

طاعة ولي الأمر المسلم ولي الأمر الشرعي سواء كانت ولاية عامة؛ خليفة المسلمين أمير المؤمنين أو ولاية خاصة من ولاه تبارك وتعالى على المؤمنين في ولاية خاصة وهو ولي أمر شرعي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ..﴾ مع ولي الأمر ﴿..فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إذا كنتم من المؤمنين حقًّا بالله تبارك وتعالى وبالبعث بعد الموت فما اختلفتم فيه من شيء مع ولاة الأمر فردوه إلى الله وإلى رسوله، إلى الكتاب والسنة، يحكم بيننا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ القصد في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أمر بطاعته وأمر بطاعة الرسول ﷺ وأمر بطاعة ولي الأمر. من هم أولياء الأمر؟

قال النووي –رحمه الله– في شرحه على صحيح مسلم: قال العلماء: المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم، فولي الأمر المقصود من؟ من ولاه الله تبارك وتعالى والعلماء الأمراء والعلماء، وأمر النبي ﷺ بطاعة الأمير

وبه تستقيم الحياة وبه تستقيم الجماعة وبه يستقيم العمل، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني" الحديث أخرجه مسلم، في نهاية هذه الجملة أن من أطاع الأمير فقد أطاع الله ومن عصى الأمير فقد عصى الله تبارك وتعالى، طاعة الأمير طاعة لله ولرسوله وعصيان الأمير عصيان لله ولرسوله، فطاعة الأمير والتعامل معه عبادة نتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى وبهذا تستقيم الحياة.

أخرج أيضاً الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك" هذا حديث مهم الاستيعاب والفهم هو التزام طاعة الأمير في العسر واليسر، في وقت الرخاء وفي وقت الشدة، في وقت النشاط وفي وقت الكسل، في الشيء المحبوب والشيء المكروه، قال عليه الصلاة والسلام: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك"

وحقيقة الطاعة تتجلى في وقت المكره وفي وقت العسر أما في وقت النشاط فالكل يطيعون، وفي وقت اليسر الكل يسيرون ويطيعون، لأنه موافق للرغبة موافق لما في النفس، لكن إذا جاء الأمر مخالفًا لما في النفس أو ثقيلًا أو في وقت شدة؛ هنا تتميز الطاعة ويتضح من هو طائع لله تبارك وتعالى ولرسوله ﷺ بطاعة أميره. فطاعة الأمير من طاعة الله ورسوله، ومعصية الأمير من معصية الله ورسوله. كلما ازداد الإنسان انضباطاً في طاعة الأمير ازداد رفعة عند الله تبارك وتعالى، المؤمن لا يريد المكانة عند الناس، لا يريد المكانة عند الأمير ولا في الجماعة ولا يريد رقي تنظيمي أو ما إلى ذلك من هذه المفاهيم الجاهلية، إنما هو يريد الله والدار الآخرة، والسبيل إلى طاعة الله وطاعة رسوله هي التزام أمر الأمير وطاعته وعدم الروغان عن أمره وامتثال أمره، ولكن طاعة الأمير مضبوطة بعدم معصية الله تبارك وتعالى، أخرج البخاري ومسلم، حديث متفق عليه في البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" إذا هي طاعة مبصرة، طاعة على كتاب الله وسنة رسول الله وعلى هذا تمت البيعة وعلى هذا تم الالتزام، فنطيع الأمراء ونطيع القاعدة على أي اعتبار؟ على اعتبار طاعة الله وطاعة رسوله فيما أمر الله تبارك وتعالى به وما أمر به النبي ﷺ وفيما ليس فيه معصية فإذا جاءني أمر تنظيمي أو أمر من الأمير مخالف للشرع أمتنع بل الواجب عليَّ هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الحق بدليل صريح، جاء أمر مخالف للشرع نقول هذا الأمر مخالف للشرع، لماذا؟ خالف قول الله سبحانه وتعالى كذا أو خالف سنة النبي ﷺ بكذا أو خالف الإجماع، أما إذا كان الخلاف خلافًا معتبرًا له وجه في الشرع وأمر الأمير بأمر يخالف اجتهادي، يخالف اجتهادي اجتهادَ الأمير فالواجب هو الطاعة؛ طاعة الأمير، هي ليست مخالفة شرعية هي مخالفة لاجتهادي أنا وبما أن الأمر يحتمل هذا ويحتمل هذا واختار الأمير أمرًا مخالفًا لاجتهادي فالواجب هي طاعة الأمير. والحمد لله ليس في ذلك معصية بل هذا من السُّنة؛ التزام طاعة الأمير وإلا لما انضبطت الحياة، لأن الاختلافات كثيرة والاجتهادات كثيرة، وإذا كل عبد وكل إنسان عمل بمقتضى اجتهاده لتفرقت الجماعات وما جمعت المسلمين جماعة أبدًا، لذلك المسائل الخلافية التي فيها الخلاف معتبر فأمر الأمير فيها واجب الاتباع،

فهذا الأمر مهم وهو الطاعة في غير معصية، ثم الطاعة حسب القدرة والاستطاعة، قال الله سبحانه وتعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لطاعته وأن يصرف عنا معاصيه، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوصية الرابعة والخامسة: الهجرة والجهاد في سبيل الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

أما بعد:-

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن الحارث الأشعري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (و أنا آمُرُكُم بخمس الله أمرني بهن، بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله)، في اللقاء الماضي كان الحديث عن السمع والطاعة، اليوم الحديث عن الهجرة والجهاد.

والهجرة والجهاد مرتبطان في كثير من الآيات والنصوص الشرعية من الآيات والأحاديث عن النبي ﷺ تُذْكَر الهجرة ومعها الجهاد.

في القرآن مثلًا؛ قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فَذُكِرَ الكثير في كتاب الله -تبارك وتعالى- اقتران الهجرة بالجهاد.

وفي السنة أخرج الإمام أحمد عن عبدالله بن السعدي -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو) أخرجه أحمد وهو حديث صحيح،

(لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو)، فترتبط وجود الهجرة بوجود القتال ووجود الجهاد في سبيل الله ما قوتل العدو؛ يعني إلى آخر الزمن إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال كما في الحديث الذي أخرجه أبو داوود عن معاوية -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا نقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) أخرجه أبو داوود، في هذا الحديث ذكر النبي ﷺ أن الهجرة لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، والتوبة لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها، إذن لا تنقطع الهجرة حتى تطلع الشمس من مغربها، عندما يتوقف القتال وينتهي الجهاد في آخر الزمان، فالهجرة باقية إلى نهاية التاريخ، ولكن ما حكم الهجرة؟ هي باقية نعم، لكن ما حكمها؟ حكمها الوجوب أو الاستحباب؟ ما حكمها؟ إذا أردنا أي حكم شرعي ننظر في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

لماذا ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}؟ أرض الله واسعة ولم يهاجروا فيها وبقوا في أرضهم ظالمين لأنفسهم ممتنعين عن الهجرة تاركين الحكم الشرعي ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، هذا استثناء للمستضعفين، يقول ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري في شرح حديث (لا هجرة بعد الفتح) يُبين ما حكم الهجرة فذكر -رحمه الله- أن الهجرة بعد فتح البلدان ليست واجبة إنما تجب قبل الفتح، يعني عندما تكون الدار دار كفر فيجب الهجرة منها، فإذا كانت الأرض دار كفر فالمسلمون فيها أحد الثلاثة أصناف:

الصنف الأول: وهو شخص قادر على الهجرة منها، لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته الشرعية، فالهجرة في حقه واجبة، لا يبقى في دار الكفر، يستطيع الهجرة ولا يستطيع إظهار دينه ولا بالقيام بالواجبات الشرعية، في هذا الحال يجب عليه الهجرة إلى دار الإسلام.

الحالة الثانية: أنه قادر على الهجرة ولكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته الشرعية، فالهجرة في حقه مستحبة.

الصنف الثالث: وهو شخص عاجز عن الهجرة بسبب أسر أو مرض أو غيره، فهذا تجوز له الإقامة؛ لأنه معذور، ولكن إذا تكلف على نفسه وخرج مهاجر لله -تبارك وتعالى- فأجره عظيم.

هذا مُلخَّص كلام ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري.

إذن الهجرة حكمها هذا، أحيان تكون واجبة وأحيان تكون مستحبة وتسقط عن العاجز، وكثير من الأحكام الشرعية هي تسقط بالعجز.

فضل الهجرة:-

للهجرة فضائل كثيرة، ومن أعظم فضائل الهجرة ما أخرجه الإمام مسلم عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: إن رسول الله ﷺ قال: (أمَا علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله)، هذه فضيلة عظيمة من فضائل الهجرة، الإسلام يهدم ما قبله، والهجرة كذلك تهدم ما كان قبلها، فمن خرج مهاجرًا إلى الله -تبارك وتعالى- ورسوله فارًا بدينه خرج مهاجرًا في سبيل الله، فإن الهجرة تهدم ما كان قبلها من الآثام والمعاصي الصغائر والكبائر، ولا يشترط في هدم الهجرة للمعاصي السابقة علم المهاجر بها، يعني لا يشترط للمهاجر أن يكون عالمًا بأن الهجرة تسقط الذنوب وتكفر الذنوب حتى يحصل على الفضيلة، لا يلزم ذلك بل بمجرد الهجرة يعفو الله -تبارك وتعالى- عن سيئاته الكبائر والصغائر مثل الإسلام كما قال النبي ﷺ: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله) ثلاثة أمور؛ لذلك قال النووي -رحمه الله- في شرح صحيح مسلم عن الحديث هذا قال: "ففيه عظيم موقع الإسلام والهجرة والحج أن كل واحد منهما يهدم ما كان قبله من المعاصي"، فأجرها عظيم وثوابها عظيم عند الله -تبارك وتعالى- وهي تجديد للحياة وتجديد للعبد المسلم، فيتحول إلى شخصية جديدة غفر الله له ذنوبه وبدأ بصفحة جديدة مع الله -تبارك وتعالى-.

والهجرة لا يكاد يوجد لها مثيل من العبادات؛ لذلك أخرج الإمام النسائي عن كثير بن مرة -رحمه الله- أن أبا فاطمة حدثه أنه قال: "يا رسول الله، حدثني بعمل أستقيم عليه وأعمله، قال له رسول الله ﷺ: (عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها)، لا يكاد يوجد عمل يوازي ثواب الهجرة في سبيل الله، فالهجرة أجرها عظيم عظيم عند الله -تبارك وتعالى-، وأحكامها متفاوته بين الوجوب والاستحباب.

أنواع الهجرة:-

الهجرة الموجودة اليوم الهجرة في سبيل الله -لا نتكلم عن الهجرة المباحة- إنما الهجرة في سبيل الله ما هي أنواعها؟

هناك هجرة أرض وهي: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام.

دار الكفر: ما كانت فيه شعائر الكفر ظاهرة، هذه دار كفر.

ودار الإسلام: ما كانت فيه شعائر الإسلام ظاهرة.

فالانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام هذا المتَحَدَّثُ فيه، وهذه هي الفضيلة وهذا الأجر العظيم الذي فيها، وهذه تسمى هجرة أرض، فإذا هاجر الإنسان من دار الكفر إلى دار الإسلام حصل له الثواب العظيم وبقي عليه تكليف آخر وهو أنه لا يجوز له العودة إلى أرضه التي تركها والبقاء فيها إلا للزيارة، إذا هاجر من دار الكفر إلى دار الإسلام فلا يعود للاستيطان مرة أخرى في دار الكفر التي هاجر منها ولو فتحت وصارت دار إسلام؛ لأنه تركها لله -تبارك وتعالى-، وما تركه الإنسان لله -تبارك وتعالى- لا يعود فيه، هذا حكم من أحكام الهجرة، لكن إذا رجع للزيارة أو لعمل أو لأمر يعني لا بُدّ منه يقضي الأمر ثم يعود إلى المكان الذي هاجر منه، أو يترك هذه الأرض التي تركها لله -تبارك وتعالى-.

المجاهدون اليوم هجرتهم هجرة أرض أو هجرة قتال؟

الحاصل -والله أعلم- أن المجاهدين اليوم الكثير منهم هجرتهم هي هجرة قتال وليست هجرة أرض يعني لم ينتقلوا من دار الكفر إلى دار الإسلام، لماذا ؟

الحاصل أنهم من أرض إسلامية ولكن سيطر عليها الكفار.

أرض الإسلام سيطر عليها الكفار فما هو الواجب الشرعي في تلك الحال؟ هل الواجب الشرعي الهجرة من هذه الأرض التي سيطر عليها الكفار؟

الواجب الشرعي هو دفاع العدو، الجهاد في سبيل الله -تبارك وتعالى-، إذا لم يستطع الجهاد فإنه يهاجر للجهاد، يهاجر، ينحاز لفئة؛ لكي يقاتل ويطرد العدو المحتل لدار الإسلام، وتحرر الأرض من جديد وتعود لحكم الشريعة.

فهذه الهجرة هجرة قتال، فيجوز لهم العودة مرة أخرى إلى أوطانهم والبقاء فيها وإن كان الأفضل إلا يعودوا -والله أعلم-؛ لأنها ليست هجرة أرض، مثلها مثل حال زمن خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، في زمن خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- سيطر المرتدون على كثير من أراضي المسلمين فما كان الحكم الشرعي على المسلمين الموجودين في الأرض؟ مثلًا في اليمن سيطر الأسود العنسي، هل كان الواجب على المسلمين في اليمن أن يهاجروا مرة أخرى إلى المدينة؟

لا، الواجب الشرعي على أهل اليمن في ذلك الوقت هو طرد الأسود العنسي، دفع الأسود العنسي، قتال الأسود العنسي، إزاحة ملك الأسود العنسي وإعادة اليمن مرة أخرى لحكم الشريعة، أن تعود مرة أخرى دار إسلام، ولم يفهم المسلمون في ذلك الوقت هذا الأمر، بل سعوا في ذلك الأمر فعلًا، وسعوا في قتل الأسود العنسي وإعادة أرض اليمن مرة أخرى لحضيرة الإسلام لتعود مرة أخرى دار إسلام.

إذن الهجرة منها هجرة أرض ومنها هجرة قتال، وهناك هجرة مَعنوية، وهي هجرة السيئات كما أخرج الإمام أحمد في المسند عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: (إن المهاجر مَن هجر ما نهى

الله عنه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فهذه هجرة معنوية هي هجرة الآثام والمعاصي، أن يهجر الإنسان كل ما نهى الله -تبارك وتعالى- عنه كما قال النبي ﷺ: (إن المهاجر من هجر ما نهى الله عنه).

وهناك حديث عظيم جمع عن النبي ﷺ أحكام كثيرة من الهجرة والإيمان وغيرها، وهو حديث أخرجه الإمام أحمد عن عمرو بن عبسه قال: "جاء رجل -أو قال رجل-: يا رسول الله، ما الإسلام؟

قال: (أن يسلم قلبك لله -عز وجل- وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك)

قال: فأي الإسلام أفضل؟

قال: (الإيمان)

قال: وما الإيمان؟

قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)

قال: فأي الإيمان أفضل؟

قال: (الهجرة)

قال: فما الهجرة؟

قال: (أن تهجر السوء)

قال: فأي الهجرة أفضل؟

قال: (الجهاد)

قال: وما الجهاد؟

قال: (أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم)

قال: فأي الجهاد أفضل؟

قال: (من عقر جواده وأهريق دمه، ثم قال رسول الله ﷺ: ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما، حجة مبرورة أو عمرة)" أخرجه الإمام أحمد وهو حديث صحيح.

القصد أن الهجرة غالبًا مقرونة بالجهاد، وهناك هجرة خاصة وهي هجرة المجاهدين بالفتوحات أو لدفع العدو الصائل أو لتحكيم الشريعة، كل هذي من الهجرة المشروعة المأمورة التي تجب أحيانًا وتكون أحيانًا مستحبة، فالهجرة من أجل الجهاد أو الهجرة مرتبطة غالبًا بالجهاد في سبيل الله.

وقال النبي ﷺ: (وأنا آمركم بخمس) ثم قال: (والهجرة والجهاد)، وفضائل الجهاد كثيرة معروفة عند المسلمين جميعًا، أذكر منها هذي الفضائل اليسيرة في عددها لكنها عظيمة عند الله –تبارك وتعالى–:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ أنه قال: (قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة) الحديث في صحيح الجامع.

(قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة) يعني شخص قضى ستين سنة كاملة في الصلاة قائم يصلي ستين سنة متصلة في القيام للصلاة، ساعة للقيام في الصف للقتال في سبيل الله توازي تلك الستين سنة؟ لا، بل تفْضُلها! قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة.

وأخرج ابن حبان عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سمعت رسوله الله ﷺ يقول: (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود) و هو حديث صحيح.

لاحظ هذه الفضيلة العظيمة قيام ليلة القدر ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، فقيام تلك الليلة كاملة أجره عظيم، خير من قيام ألف شهر عند الحجر الأسود، والصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، كم الأجر؟ أجر عظيم لا يكاد يُتصوَّر! موقف ساعة في سبيل الله خير من ذلك العمل كله، موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود.

وأخرج الحاكم والبيهقي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: (ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر) ليلة القدر خير من ألف شهر بنص الكتاب العزيز، هنا النبي ﷺ يقول: (ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارسٌ حرس في أرض خوف لعله ألا يرجع إلى أهله) هذه الليلة أفضل من ليلة القدر، قال النبي ﷺ: (ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارسٌ حرس -وفي رواية (حارس حرسي) لكن الصواب -والله أعلم- هذي هي- في أرض خوف لعله ألا يرجع إلى أهله) والحديث صحيح.

فالقيام في الصف في سبيل الله -تبارك وتعالى- خير من قيام ستين سنة، ليس من قيام! بل من عبادة ستين سنة، كما في المستدرك عن عمران بن حسين -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة) والحديث في صحيح الجامع، أفضل من عبادة ستين سنة، ستين سنة كاملة في العبادة -ليس فقط في الصلاة- في أنواع العبادات المتنوعة، ستين سنة ساعة واحدة في سبيل الله قيام في الصف في سبيل الله أفضل من ذلك! أفضل بكم؟ الله أعلم، أجرها عظيم عند الله -تبارك وتعالى-.

هذا قيام ساعة في الصف، والرماية الرمي في سبيل الله أجره عظيم جدًا جدًا جدًا، أخرج ابن حبان عن كعب بن مرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى بسهم في سبيل الله كمن أعتق رقبة) من رمى بسهم في سبيل الله كان كمن أعتق رقبة! كل رمية كأنما أعتق رقبة في سبيل الله.

وحديث في سنن بن ماجة -أيضًا- شبيه في هذا الحديث، فيما معناه عن عمرو بن عبسة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى العدو بسهم فبلغ سهمه العدو أصاب أو أخطأ -أهم شيء أنه وصل إلى العدو سواء أصاب العدو أو أخطأ الهدف- فعدل رقبة) كأنما أعتق رقبة لله -تبارك وتعالى-، هذا الحديث في سنن ابن ماجه.

فضائل الجهاد كثيرة، معروفة لكن نحتاج بعد معرفة الفضائل العمل بالعلم، كثير من الآيات والأحاديث نسمعها ونعرف معانيها وكذا، لكن ينقصنا العزيمة الصادقة مع الله -تبارك وتعالى-، ومن أفضل ما يشد العزيمة هو دعاء

الله –تبارك وتعالى–، نسأل الله –سبحانه وتعالى– باستمرار أن يقوي عزائمنا، أن يصحح نياتنا، أن يربط على قلوبنا، أن يهدينا السبيل الأقوم.

كثير من المرات نسمع في فضائل الجهاد وفضائل الهجرة وفضائل السمع والطاعة وفضائل الْتزام الجماعة، ولكن المطلوب هو الالتزام، ليس المطلوب هو كثرة المعلومات وكثرة الأحاديث أو الآيات وحفظها واستيعابها، هو أمر يعني مطلوب وهو أمر يعني من الفضائل، لكن الغرض من ذلك هو العمل بها والسير إلى الله –تبارك وتعالى– على هَدْيٍ صحيح؛ لذلك في ختام هذا اللقاء نُذَكِّر بقول النبي ﷺ الذي رواه الحارث الأشعري –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال: (وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن، الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله) هذه الوصايا الخمس أوصانا بها النبي ﷺ، أمره الله –تبارك وتعالى– بها، الجماعة، والسمع والطاعة لله –تبارك وتعالى– ولولي الأمر الذي ولاه الله –تبارك وتعالى– ولي الأمر الشرعي، والهجرة في سبيل الله والجهاد في سبيل الله.

هذه الوصايا الخمس من أعظم الوصايا التي أوصى النبي ﷺ أمته.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا لطاعته، وأن يصرف عنا معاصيه إنه على كل شيء قدير.

وجزاكم الله خيرًا.

والحمد لله رب العالمين.